(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

كيسنجر بين حرب الاستنزاف ومباحثات فصل القوات في الجولان .

في الثلاثين من شهر نيسان وصل وزير الخارجية الاميركية الدكتور هنري كيسنجر الى القاهرة، ليبدأ جولته الخامسة في الشرق الاوسط . وبدأت مرحلة من المفاوضات المسلحة غير المباشرة . وكان العالم ينتظر ان تصمت المدافع على جبهة الجولان منذ ان يضع كيسنجر قدمه في المنطقة ، حتى يتم عمله الدبلوماسي في جو هادىء يساعد على الوصول الى اتفاق . ولكن السوريين آثروا التفاوض من قلب المعركة ، وقرروا متابعة حرب الاستنزاف ، التي بدأت في ١٢ اذار ، والبحث عن السلام بآن واحد. مطبقين بذلك اسلوب المفاوضات المسلحة الذي اشتهر باسم « الاسلوب الفيتنامي » ، مع ان الكوريين كانوا أول من طبقه بنجاح في مطلع الخمسينات ، خلال مباحثات بانمونجوم . ويمكن القول ان محادثات فصل القوات على الجبهة المصرية التي جرت في كانون الثاني من هذا العام، والمحادثات التي أجراها كيسنجر على طريقته ، خلال جولته الخامسة الحالية ، هي أول مرة في تاريخ الصراع العربي — الاسرائيلي يدخل العرب فيها المفاوضات وهم يحملون السلاح بأيديهم كوسيلة من وسائل الحوار، وأسلوب من أساليب الضغط، مع استعدادهم للعودة الى الحرب بشكليها المحدود او الشامل عند تعثر المفاوضات .

ويعتمد « الاسلوب الفيتنامي » الذي يطبقه السوريون خلال حرب الاستنزاف ، على التأثير المتبادل للحرب والسياسة . واذا نظرنا الى حرب الاستنزاف السورية « كاستمرار لحرب تشرين الاول » لوجدنا صورة حية لهذا التأثير المتبادل . فلقد أعدت السياسة والدبلوماسية العربيتين الظروف الملائمة لحرب تشرين . وخلقت حرب تشرين الحقائق المعروفة التي كان من عناصرها تحطيم الجمود السياسي واعطاء السياسة والدبلوماسية العربية حقل عمل اوسع ، مع تحديد حقل عمل السياسة والدبلوماسية المعاديتين . وعندما اصطدمت المناورة السياسية العربية بالرفض الاسرائيلي الناجم عن دخول سياسة تل ابيب في طريق مسدود ، تهيأ ظرف جديد لعمل عسكري محدود طويل الامد ، لا تود اسرائيل الاستمرار فيه ، ولا تقدر على تصعيده . على حين تسعى القيادة العسكرية السورية الى استخدامه لمتابعة تفتيت العدو سياسيا ، وانضاج ظروف « حرب اليهود » ، واعطاء السياسة العربية سلاحا ضاغطا خلال مباحثات السلام .

وبالاضافة الى هذا الغرض السياسي الهام فان لحرب الاستنزاف في الجولان اغراضا عسكرية بحتة، تعمل القوات المسلحة السورية على تحقيقها لتوظيفها في خدمة السياسة . ومن هذه الاغراض:

١ — الحاق الخسائر بقوات العدو يوميا وبشكل مستمر . واذا كانت الولايات المتحدة قادرة على تعويض خسائر اسرائيل بالمعدات ، فان الخسائر البشرية المتراكمة أمر يصعب تعويضه ، رغم دعم الولايات المتحدة البشري للدولة الصهيونية بواسطة الفنيين من يهود الولايات المتحدة المزدوجي الولاء . ولا يعني هذا القول أن الخسائر تقع في جانب واحد ، وان السوريين لا يخسرون رجالا او عتادا ، ولكنه يعني ان مفهوم الخسائر (المادية والبشرية) لدى الشعوب المعتدى عليها لا يتماثل مع المفهوم نفسه لدى الشعوب المعتدية ، كما أن تأثيرات الخسائر البشرية على شعب تعداده أقل من ثلاثة ملايين لا تعادل تأثيرات هذه الخسائر على شعب تعداده (٦،٧٧٥،٠٠٠) ملايين . واذا كان بوسع اسرائيل تعويض خسائرها المادية بفضل المساعدات الاميركية ومساعدات الصهيونية العالمية ، فان سورية تؤمن التعويض بفضل المساعدات العسكرية السوفييتية ، والمساعدات المالية التي تقدمها الدول العربية البترولية الغنية.

٢ — خلق حالة انعدام الامن بالنسبة لمستوطنات هضبة الجولان . ومن المعروف ان التصف السوري المستمر بالمدفعية بعيدة المدى يجبر سكان المستوطنات السبع عشرة على العيش فترة طويلة كل يوم في الملاجىء ، ويحرمهم من امكانية القيام بأعمالهم العادية ، ويثبت لهم أن وجودهم في هذه المنطقة يهدد حياتهم ويعرضهم لخطر دائم .

٣ — تثبيت عدم قبول سورية بأي استيطان في الجولان ، واصرارها على استعادة الارض العربية